

سلیمان الحکیم (ع) النبی الّذی سخّر لہ جنود من الجن والطیر.. والریح



قال تعالى: (وَوَهَبْدَانَا لِدَأُدَ سُلَيْمَانَ زَعْمَ الْعَبْدُ إِزَّهُ أَوَّابُ) (ص/ 30).

سلیمان (ع) - كما في الآية - هو هبة الله لداود (ع)، ولو صحّت الروايات التي تذكر وجود إخوة كثرين له لتأكد أنّ سلیمان (ع) عظيم الشأن، وما يؤيّد ذلك الثناء الإلهي على سلیمان (ع) (زَعْمَ الْعَبْدُ إِزَّهُ أَوَّابُ). وبالفعل فلقد نشأ سلیمان (ع) وترعرع في كنف أبيه: الملك - النبی داود (ع). وكما هو معلوم فإنّ مملكة أبيه الدينية تلك، سادها العدل والرخاء، وعمّ الأمان وها بها الأعداء بعد أن أذلّتهم بإذن الله. ويكبر سلیمان (ع) وتکبر معه أحلامه في تلك الدولة الإلهية... أحلام العزّ وإقامة حُكم الله في الأرض، خاصة مع ما رآه آنذاك من زَعْم إلهية مغدقه، وبركات الرسالة وآثار العدل والإحسان. تفتّحت عيناه، وتنبه بسمعه وذهنه لبكاء أبيه وسجوده وكثرة تسبيحه وإنابته إلى الله سبحانه. ينظر قومه فيرى عزّهم وفرحهم بالنصر والرخاء. يحدّق في الطبيعة فيجدها قد تزيّنت وتعبدّلت لتفاعل مع ذلك الجو العابر بنفح الإيمان وبركة ذكر الله واعلاء كلمته. وبذلك لم يعد غريباً أن ينشأ الولد وهو ابن أبيه: فلقد شابه في العبادة والخلائق، وتساوى معه بالنبوة والعلم والمعجزات، وآتاه الله الحكمة.. أضف إلى أزّه أخذ عنه خبرة الحرب، وتحمل

معه عبد هم ومسؤوليتها. ولهم كان يهتم بمحالس القضاء وشؤونه مع أبيه، حتى ذكر القرآن الكريم اشتراكهما في ذلك وإن اختلفا في الحكم بإرادة الله. (وَدَّا وَدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُهُمَا فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنْدَانَ لَحْكُمَهُمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَمَهُمْ نَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَا آتَيْنَاهَا حُكْمَهَا وَعَلَمَهُمْ...) (الأنبياء / 78-79). هذا هو سليمان الحكيم (ع)؛ رفيق درب والده، وحامل صفاته ووارثه. قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاهَا دَّا وَدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمَهَا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَهَمَ لَنَاهَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عَبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (النمل / 15). ويكتفي من ذكر الصفات المشتركة بين داود وسليمان (ع) أن قال سبحانه عنهما في الآية المذكورة إِذْهَا آتاهمَا العلم، وفضلهما معاً على كثيرين، أضف إلى ذلك قوله سبحانه عن داود: (إِنَّهُ أَوَّلَابِ) (ص / 17)، وكذلك عن سليمان: (زَعْمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّلَابِ). وذكر عن كلٍّ منهما أيضاً: (وَإِنَّهُ عِنْدَهُ زَانَ لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَأَبِ) (ص / 40) و(ص / 25)، وكذلك قوله سبحانه: (وَكُلَا آتَيْنَاهَا حُكْمَهَا وَعَلَمَهُمْ...) (النمل / 16). لعل المتأمل في الآية يكتشف أن سليمان ورث داود (ع) وأنه توجه إلى الناس مباشراً للمسؤولية الجديدة. أما أمر الوراثة فإنّه يشمل المال والملك وإن كان يشارك معه إخوته إن وجدوا بمال أبيه الخاص. فيكون سليمان (ع) قد ورث مملكة عظيمة الشأن، قوية مزدهرة. وطبعاً لا يقصد بالرث هنا العلم والحكمة والنبوة، وذلك لأنّ سليمان (ع) نبي "والنبوة لا تقبل الوراثة لعدم قبولها الانتقال، والعلم وإن قبل الانتقال بنوع من العناية غير أنه إنما يصح في العلم الفكري الاكتسي، والعلم الذي يختص به الأنبياء والرسل كرامـة من الله لهم وهبـي ليس مما يُكتسب بالتفكير، فغير النبي يرث العلم من النبي لكن النبي لا يرث علمـه من النبي آخر ولا من غيرـ النبي" [1]. وهكذا أصبحـ سليمان (ع) الخليفة في الأرض بعد أبيه، ولذلك توجهـ إلى الناس مخاطباً من موقع المسؤولية، فيذكرـ الناس بما آتاهـ الله وأباـه من قبل على قادة (وَأَمَّا بِنَعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثَ) (الضحـى / 11)، وليبين لهم مقدراتـ الدولة الموجودة تحتـ تصرفـه، وربما أوضحـ أمورـة وبرنامـجاً لعملـه لم يذكرـ القرآنـ الكريمـ لأنـه ليسـ كتابـ تاريخـ. وما يؤكـد ذلكـ الآيةـ: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ...) (النمل / 18-17)، وكأنـه قد طويـ كلامـ عنـ كيفيةـ بدئـهـ بالـحكمـ وخطـتهـ، واكتـفيـ بـذكرـ تحرـكهـ معـ جـنـودـهـ فيـ سـبيلـ اللهـ . - جـنـودـ سـليمـانـ: وبالـ فعلـ فإنـ منـ الواضحـ أنـ القـادةـ - عـادةـ لاـ يـتحرـكـونـ لـغـزوـ أوـ ماـ شـابـهـ إلاـ بـعـدـ توـفـرـ كلـ الإـمـكـانـاتـ الـلاـزـمةـ، وبـعـدـ استـبابـ الـأـمـنـ، وـانتـشارـ الطـمـانـيـنـةـ دـاخـلـ الـمـملـكةـ وـالـدـولـةـ. كماـ أنـ الجنـودـ الـذـينـ يـكـوـنـونـ الـجـيـشـ الـقوـيـ القـادـرـ لـهـ صـفـاتـهـ وـأـوضـاعـهـ

الخاصة. فكيف كان جنود سليمان (ع)؟ لقد سُخّر لسليمان (ع) جنود آخرون إضافة إلى البشر من جنود أبيه. فقد كان من نعمة الله عليه - وعلىبني اسرائيل - أن جعل الله لسليمان (ع) معجزة مختلفة عن غيره من الأنبياء وهي تسخير بعض الجن والطيور والحشرات والريح. وبالطبع فإن "لهذا التسخير دالة مميزة... إذا ان" سليمان (ع) أراد إعلاء كلمة الله في الأرض ونشر العدل والإحسان. وذلك يحتاج أحياناً إلى القوة والعدد والعدة لمواجهة المعارضين والمشركين الذين يريدون القضاء على الإيمان وأهله. وإذا توفّر للقائد الرسالي ما يُعينه على إقامة حكم الله في الأرض فلا مفرّ له من التحرك. وسليمان (ع) توفّر له جيش قوي يقاتل به أعداء الله، ولكنه كان يطمح لأن ينطلق بعيداً في الأرجاء لإيصال صوت الحق. وبما أنه لم يمْتنِ منطق الطيور وقد سخرت له فلماذا لا يستخدمها جنوداً أشبه بأجهزة الاستطلاع. فالطيور يمكنها الوصول إلى حيث لا يصل البشر، فهي تستطيع التحلق عالياً وكلما الت وارتفت وبعُدَت، كبرت المساحة التي يمكنها الاطلاع عليها، وهذا لم يكن ممكناً آنذاك للبشر، إذ كانوا يستخدمون الخيول والدواب للتنقل وذكر الهدد مثلاً في القرآن للتأكيد على هذا الدور التسخيري والإخباري، خاصة وأن الله للهدد نظراً ثاقباً فيما يقال. ونؤكد أن الهدد ليس وحيداً بين أنواع الطيور المسخرة لسليمان (ع) قال تعالى: (وَتَفَقَّدَ
الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُدَ هُدُدًا أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)
(النمل/ 20). فقد تفقد سليمان (ع) الطيور المخسرة كلها ثم افتقد الهدد.. وجدير بالذكر أن الروايات كالآيات - تؤكد خصوص أنواع الجنود المختلفة لسليمان (ع). فبالإضافة إلى الإنس والطير، كان الجن أيضاً من جنوده. والجن نوع من المخلوقات الإلهية المكلفة كإنس بالتكاليف الشرعية، ولكن لهم وضعهم وحياتهم الخاصة، ولا نعلم عنهم شيئاً إلا ما ذكره القرآن الكريم وبعض الروايات. وبالفعل فلقد كان الجن بأنواعهم مسخرين لسليمان (ع) بأمرهم فيطبعون ومن يخالف فله عقابه: قال تعالى: (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ
بَيْنَ يَدَيْهِ بَيْنَ ذُنُوبِهِ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ زُذْقَهُ
مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ...) (سبأ/ 12-13).
(وَالشَّيَاطِينَ كُلُّهُمْ بَنَاءٌ وَغَوَّاصٌ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّبُينَ فِي
الْأَصْفَادِ) (ص/ 38-39)، أضف إلى الجن والإنس والطير الوحش والحيوانات الأخرى كالخيول، وله معها قصة أخرى.. حيث كان يستعرضها يوماً قُبيل وقت اعتقاد فيه أن يتفرغ لذكر الله، واستعراضها نفسه هو الله والاستعداد للجهاد في سبيله، فأخرجه ذلك عن ذكر ربه فاعتبره أمراً غير طبيعي قال سبحانه: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ *
فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ
بِالْجَنَابِ * رُدْ وَهَا عَلَيْهِ فَطَافِقَ مَسْجَداً بِالسُّوقِ وَالْأَعْدَاقِ * وَلَقَدْ

فَتَنَّـا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَـا عَلَى كُرْسِيٍّ حَسَدًا ثُمَّ أَذَابَ * قَالَ
رَبِّي اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْدِبْغِي لَاهَدِ مَنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَزْتَـ
الْوَهَّـابُ * فَسَخَرْ زَـا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَـ
(ص/ 31-36). فقد سُمِّي سليمان (ع) استعراضه للخيل بالخير، ومع أَنَّه خير لكنه أخره عن
ذكر ربِّه - لا عن الصلاة حتى فات وقتها كما ادْعى بعضهم - ولذلك تاب واستغفر لأنَّه اهتم
بأمر آخر غير ذكر الله.. لله در الأنبياء، حتى الأمر المستحب يستغفرون الله من تركه أو
إغفاله ويتوبون من ذلك. ومن الملاحظ هنا أنَّ الله سبحانه مَنْ بنعمه أخرى على سليمان
(ع)، وهو يعلم أَنَّه سيستخدمها في سبيله. وبعد أن تاب - مع أَنَّه لم يذنب - عوْضه بالريح
بدلاً من الخيل كوسيلة للتنقل. وينبغي التوقف هنا عند مسألة مهمة تؤكد التطور النوعي في
حركة الجهاد عند سليمان (ع). فمن جنود البشر إلى الطيور والوحش والخيول، إلى الجن
والعفاريت والشياطين إلى تسخير الرياح. وفي تسخير الرياح وحركة الجن والطيور تقرب
لفكرة حكم سليمان للأرض قاطبة أو سعيه لذلك على الأقل. وإن لم يكن هناك دليل أو أثر
لذلك. ولكن سرعة الرياح تلتف الأنطارات إلى حدٍ تشبيهها بحركة الطائرات اليوم. وفي هذا
القطاع السريع بواسطة الريح للمسافات الشاسعة دليل على كثرة غزو سليمان (ع) لأعدائه،
وعلى اهتمامه الدائم بإعلاء كلمة الله في الأرض. قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
غُدُوْهَـا شَهْرُ وَرَوَاحُهَـا شَهْرُ وَأَسْلَنَـا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ...) (سبأ/
12). ومرّ قوله سبحانه: (فَسَخَرْ زَـا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ
حَيْثُ أَصَابَـ)، فإذا كانت الريح تستطيع نقله إلى حيث يشاء، وإذا كانت الجن تغوص له
في البحار، وتستطيع أن تأتيه بعرش بلقيس ملكة سبا قبل أن يقوم من مقامه، فليس غريباً
فيما نرى أن يسیر سليمان في الأرض باحثاً عن جهاد في سبيل الله، وإليك هذه الرواية عن أبي
عبد الله (ع) "لما قبض داود ولي سليمان وعُـلـمـ منطق الطير وسخـرـ له الجن والإنس، وكان لا
يسمع بملك في ناحية الأرض إلا أتاه حتى يذله ويدخله في دينه، وسخـرـ له الريح فكان إذا
خرج إلى مجلسه عكف عليه الطير وقام الجن والإنس، وكان إذا أراد أن يغزو أمر بمعسكره،
فضرب له بساط من الخشب وجعل عليه الدواب والناس وآلـةـ الحرب كلـهاـ حتى إذا حمل معه ما
يريد أمر العاصف من الريح فدخلت الخشب، فحملته حتى تنتهي به إلى حيث يريد، وكان غدوها
شهرًا ورواحها شهراً" [2]. هذا هو سليمان، النبي الملك الحكيم، المجاهد في سبيل الله؛
وكأبيه كان يخصص وقتاً يجلس فيه ليستمع إلى شكاوى الناس وربما غيرهم من المخلوقات -
ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه.. وعلى عظمته وسلطته على كثير من المخلوقات كان همه
الوحيد أن يُعبد الله في الأرض:

يعيده هو، ويعيده سكان مملكته، ويعيده أهل الأرض جمِيعاً لِو استطاع ولذلك سخر كل طاقاته وكل ما هو مسَخٌ له لبناء معبد □ وهو ما عرف بهيكِل سليمان (ع) وما أدرك ما هيكل سليمان؟! وخبر الخاتم هذه الرواية عن صفة سليمان الحكيم العابد الزاهد رغم غناه، الضعيف أمام ربِّه رغم قوته أمام أعدائه: "وكان سليمان إذا أصبح تصفّح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول: مسكون مع المساكين، وكان مع ما فيه من الملك يليس الشعر، وإذا جذبه الليل شدّ بيده إلى عنقه، فلا يزال قائماً حتى يصبح باكيًا"، وكان قوته من سفائف الخوض يعملها بيده...". [3].

الهوا مش:

- [1] - تفسير الميزان/ العلامة الطبطبائي (ره)، ج19، ص350. [2] - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين،الجزائري، ط الأعلمي 1978، ص407.
- [3] - المصدر نفسه/ ص412.

المصدر: مجلة نور الإسلام/ العددان 21 و 22 لسنة 1991م